

مار مارون والضالين

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في ذكرى القديس مارون شفيح ومؤسس الطائفة المارونية نتقدم من أهلنا في الوطن الأم وبلاد الانتشار بأحر التهاني، ومعهم نتضرع لهذا القديس القدوة طالبين شفاعته عند أبينا السماوي لينزل لبناننا الحبيب عن صليب عذابه فيعود واحة للتعايش ورسالة للمحبة. في هذا الذكرى المقدسة دعونا نستلهم من حياة قديسنا الكبير التواضع والعطاء والصبر والإيمان والرجاء.

بأيدي ممدودة وعيون شاخصة إلى السماء دعونا نعترف بالذنوب والزلات التي اقترفناها مستغفرين نادمين تائبين. دعونا نطلب الخلاص لوطننا المحتل المعذب، والفرج والاعتناق لشعبنا المقهور. دعونا نطلب السلام لكل بلدان العالم والخلاص لكافة الشعوب.

دعونا نطلب الهداية لرعاة في مغتربنا يفترض أنهم من حاملي رسالة القديس مارون غير أنهم ضلوا طريق الرب، فراحوا يفضلون الأرضي على السماوي، متخليين عن رسالتهم الكهنوتية. إنهم رعاة متخفين بثياب النعاج باعوا معلمهم بثلاثين من الفضة كالأنبياء الكذبة الذين قال عنهم الإنجيل: "يأتونكم في لباس النعاج، وهم في باطنهم ذئاب خاطفة".

دعونا نطلب الهداية والتوبة لهؤلاء الرعاة الظالمين المتجبرين الذين تخدرت ضمائرهم وماتت الذمة في وجدانهم لعلهم يكفون عن اضطهاد أبناء رعاياهم وعن زرع روح الشقاق بينهم، فيدركون أن إبعاد المؤمنين عن الهياكل جريمة، كما أن تجريد الكهنة الصالحين من مسؤولياتهم لعدم قبولهم بالشواذات والهرطقات عمل شيطاني. وأيضاً ليدركوا أن أعمال الشواذ ستقلب عليهم ناراً حارقة يوم الحساب، كما نذكرهم بقول المعلم: "فليس من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات (متى ٧-٢١)".

دعونا نصلي كي يتوب أصحاب الجيب الضالين فنرى فيهم صورة الرب وليس وجه لوسيفورس اللعين. نسأل أين الحسابات الدقيقة لهؤلاء الرعاة وبُعد نظرهم، وأين الإنسان العاقل والمؤمن فيهم، وأين هم من نذوراتهم من فقر وعفة وطاعة؟ فإذا كانوا قد تخلوا عن هذه القواعد والمسلمات الإيمانية فتلك كارثة، وإذا كان صحيحاً أنهم غير قادرين على الأخذ بها فهذه كارثة أكبر.

دعونا نطلب أن يستيقظ اللبنانيون من سباتهم ويدركون أن هذا اللغظ في الأداء والسلوك والبذخ لن يدوم بعد أن عشب العشب في بعضهم، بإرادتهم، في الجسد والمأكّل والمظهر والقول والكتابة والمسؤولية!

دعونا نطلب أن يتوقف رجل القانون عن التلاعب بالقضايا البشرية وحرريات الناس، وأن يستحي السياسي المنافق، وكذلك الصحافي الطروادي الذي يؤجر لسانه الخشبي للمحتل. دعونا نطلب أن يتوقف القلة من مواطنينا عن مهمة الدفاع عن الاحتلال وممارساته البغيضة، وعن الكفرة من لابسي ثياب النجاح وهرطقاتهم. إن بعض مواطنينا من رجال دين ودنيا أمسوا كالصنوج ترن كلما نقرأها الأسياد، وتتحرك لتنفيذ المهمات البيوداسية طمعاً بسلطة ومنفعة مادية.

دعونا نطلب المعرفة لمتولي الحكم في وطننا المحتل ليعوا أن بناء الأوطان، إن في ظروف الازدهار أو في ظروف الأزمات الخطيرة لا يتم بالقهر والتكليل. كما لا يتم بتصدير الجواسيس الملمغين بالحدق والكراهية إلى بلاد الانتشار بقصد إرهاب السيادة، تليفق التهم ضدّهم، وفبركة الدعاوى القضائية الملفقة بحقهم، كما لا يتم بالقروض أو بالخصخصة فحسب، فهذه تلحق بتلك إذا لم يصلح الأداء، أداء الجميع. دعونا نطلب أن يعي اللبناني حقيقة الحكم الغارق في لعبة تقاسم جبهة التعيينات الإدارية، حصصاً بين الطوائف وأمرائها بحيث باتت الدولة ومنذ عام ١٩٩٠ مرتعا للمحظيين السياسيين.

دعونا نصلي حتى تتفتح عقولنا فنذكر أن ما يشدنا بعضنا إلى بعض هي روابط روحية أخلاقية تجعل مصيرنا الواحد مؤسساً على إيماننا المشترك بالله الواحد الأحد، وعلى ما يمليه علينا هذا الإيمان من تضامن حياتي والتزامات مشتركة.

يا قديس مارون كن حاضرا في أذهاننا وقلوبنا بكثافة متميزة لندرك ما نعيشه في هذا الزمن الدهري من مفارقات بين ما يأمرنا به أبونا السماوي من عدل وحق وسلام، وما يرتكب من أعمال عنف، حرب، إرهاب، نميمة، تزوير وتدمير لحياة المؤمنين.

إن العيش الواحد وترسيخه وتعميمه كتقافة أصيلة وشاملة أمر ضروري للجميع وهو كالخبز والملح والهواء والماء. إننا مدعوون جميعا لنستلهم العبر والدروس من حياة قديسنا الكبير لنجعل من عيشنا الواحد المبني على الاخوة المفعمة بالمحبة مشروعا حضارياً سلمياً وصوتا صارخاً يجب أصوات المتخفين بثياب الحملان. دعونا نذكر هؤلاء بقول المعلم: "يا أولاد الأفاعي، كيف لكم أن تقولوا كلاماً طيباً وأنتم خبثاء؟ فمن فيض القلب يتكلم اللسان (متى ١٢-٣٣). وأيضاً بقوله: "إحملوا نيري وتعلمذوا لي فإنني وديع متواضع القلب، تجدوا الراحة أنفوسكم لأن نيري لطيف وحلمي خفيف (متى ١١-٣٠).

نذكر من ضلوا طريق قديسهم أن المارونية إيمان وعقل ومذهب، إيمان وطيد بالعقيدة ويقين بانتصار الحق وشمول الخير، وهي منفتحة على مختلف الثقافات ولكن دون الانصهار أو الذوبان فيها.

المارونية واجب للسعي الدائب في محبة القريب والبعيد ومذهب حياتي رباني نير خطه الإيمان والعقل. مع ملك المحبة نقول: "أيها الحيات، أولاد الأفاعي، كيف لكم أن تتجوا من عقاب جهنم" (متى ٢٣-٣٣).